هل اللغة العربية صعبة ؟ كيف يمكن تيسيرها ؟

للاستاذ : رشاد دار غوث
- بيروت -

(أ) اجمع على القول بصعوبة اللغة العربية دارسوها وخاصة الاجانب ، سواء كانوا مستشرقين أو ديبلوماسيين . حتى كاد ترديد هذا الكلام المرسل يلبسه ثوب الحقيقة . ولاسيما ان الطرق والاساليب المتبعة ، حتى الآن ، في تدريس لغتنا ، للمبتدئين ولسواهم ، لم تتطور بالقدر الكافي . كما أن الكتب الموضوعة لذلك الغرض ، لم تستوف الشروط التربوية والسيكولوجية (النفسية) التي اهتدى اليها الاختصاصيون .

ب — والامر الذي لا شك فيه ، هو أن اللغة العربية ، في أوضاعها الراهنة ، وما تراكب على قواعدها من بقايا الثقافات التي احتضنتها ، ليست هذه اللغة العريقة من اللغات السهلة ، سواء في دراستها ، نحوا وصرفا ، أو في كتابة حروفها ، أو قراءة تلك الحروف .

ولئن كانت هذه اللغة ، في الاصل ، لغة منطقية ، وبالتالي سهلة التناول ، فهي ، بما اجتمع لها من القيود ، في مدى تاريخها الطويل ، بتأثير الشعوب المنوعة التي اعتنقتها ، قد صارت الى ما صارت اليه اللغة اللاتينية ، قبل ان تنقرض ، وينبثق عنها فروعها الحديثة (الفرنسية والايطالية والاسبانية) .

ج — وما حفظ اللغة العربية وصانها من الانقراض سوى الحيوية التي امتازت بها ، وهي التي حببتها الى شتى الشعوب والامم المستعربة ، فاستبدلت بها لغاتها الاصلية . وذلك بالاضافة الى كونها لغة القرآن .

وليس ادل على تلك الحيوية المرنة ، من تقبلها الاشتقاق ، على اوسع نطاق ، يمكن ان ترضخ له اللغات . (اطلب كتاب الاشتقاق والتعريب ، للعلامة « المغربي » (1)).

ولنذكر هنا أن اللغات السامية الشقيقة للغتنا قد انقرضت ، منذ مئات السنين ، باستثناء العبرانية. كما انقرضت معاصراتها من اللغات الآرية ، كاللاتينية وسواها .

كما يحسن أن نذكر ، على هامش القيود والشواذ التي توفرت في اللغة العربية ، ان اكثر علماء اللغة كانوا من غير العرب ، حتى في عصور الازدهار الاولى . ولهذا الواقع التاريخي دلالته الخاصة ، وآثاره الملموسة في ما وصلت اليه قواعد اللغة ، من تعقد بعد البساطة .

خطوات أولى للتيسير

أ — وقد يسر الاولون القراءة ، بتشكيل الحروف ، أي بوضع الحركات المعروفة عليها (الفتحة والضمة والكسرة) . ويرجع الفضل في ذلك الى ابي الاسود الدؤلي ، الذي كان يعمل ، بتوجيه الامام علي ، على وضع قواعد اللغة الاساسية . فكانت هذه الخطوة مونقة كل التوفيق ، اذ يسرت القراءة والفهم معا على القارىء ، كما يسرت وتيسر حفظ

(1) المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

المفردات والتراكيب العربية ، على وجهها الصحيح ، وتساعد على النطق بها سليمة من الرصانة الشائعة

ب — وكان اعجام الحروف، اي تنقيط الحروف المتشابهة (كالباء والتاء والثاء ، وما اليها) الخطوة التالية لتيسير القراءة وضبط الكتابة . وقد تم ذلك في العهد الاموي ، في خلافة عبد الملك بن مروان ، يوم اعتزم تعزيز اللغة العربية ، فجعلها لغة الدواوين ، اي لغة الدولة الرسمية .

وقد كانت الحروف الكوفية الشائعة الاستعمال، لا تعرف — ولاسيما المتشابهة منها — الا من سياق الكلام . « فباب» مثلا كانت تقرأ كذلك ، كما تقرأ تاب ، أو ناب ، أو بات أو ثاب ...

ج — وجاء التوقيف ، أو استعمال علامات الوقف ، حينما دون القرآن ، خطوة ثالثة لتيسير القراءة . واننا لنجد في المصاحف ، الموجودة بين ايدينا ، أولى المحاولات لاستعمال علامات الوقف ، وان كان المقرئون مجمعين على القول بأنه « ليس في القرآن من وقف وجب » .

د — وللبنانيين ، على مر العصور ، سبق في هذا الصعيد ، لابد من الاشارة اليه . ففي العهد الفنيقي ، اتحفوا العالم بحروف الهجاء ، وهي أعظم نتاج تمخض عنه العقل البشري . فجاءت تلك الحروف الصوتية المعدودة ، بعد الحروف الهيروغليفية والمسمارية الكثيرة ، دليلا على ما يهدف اليه الفكر الانساني المتطور ، في وسائل التعبير عن ذاته ، من اقتضاب ، ويسر ، وبساطة .

وفي العهد العربي عمل اللبنانيون ، ثم تابعهم المصريون والسوريون وسواهم ، على طبع هذه اللغة بالطابع الحضاري ، وتيسير الفهم بها ، بعد تيسير اساليب التعبير . ويكفي أن نذكر النهضة الادبية ، التي بعثها مغتربونا في مصر ، وفي الامريكتين ، لنسجل فضل لبنان العميم على هذه اللغة ، في الوطن وفي المهاجر . حتى صار اللسان العربي ، في الكتاب الحديث ، كما نعهده الآن ، مستساغ الالوان حلو الجرس ، مرن السياق ، جميل الاسلوب . وبات بامكان القارىء أن يتابع المطالعة ، دون توقف عند كل خطوة ، أو رجوع الى المعجم في كل جملة .

هـ — ولابد من القول ، بأن بعض الفضل ، في ذلك ، يرجع الى التلاقح الحاصل بين أساليب لغتنا العربية ، وأساليب اللغات الاجنبية ، التي تعلمناها واتقناها .

وهو تلاقح تم مثله في العهد العباسي ، بين هذه اللغة واللغات الاخرى (الفارسية ، والرومية ، والسريانية وسواها) . فجنت لغتنا من ذلك التلاقح ، في الماضي والحاضر ، اطيب الثمرات .

بقيت الحروف العربية نفسها ، ووفرة اشكالها المطبعية ، فهي بين حروف « الاول » وحروف « الوسط » وحروف « الآخر » ، والحروف المنفصلة ، تتضاعف عددا . في حين أنها لا تتجاوز في الاصل ، السبعة والعشرين . وهو أمر يعوق ازدهار الطباعة، ورواج الكتاب العربي .

و — الا ان الحلول التي عرضت ، حتى الآن ، لهذه المعضلة ، لم تكن عملية . سواء منها الاقتراح القاضي باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، أو وضع حروف جديدة لا تمت الى الحروف القديمة بصلة ، أو الاكتفاء بشكل واحد ، من اشكال الحروف الحالية ، لكتابتها به باستمرار .

فأي من هذه الاقتراحات ، اذا أخذنا به ، يقود بالنتيجة الى طفرة ، لا تحمد عواقبها ، ولا قبل للشعوب العربية بتحملها ، وهي في مستواها الراهن ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، وثقافيا .

فضلا عن ان الاخذ بتلك المقترحات ، أو بأحدها امر يخرج عن مدى امكان هذه الشعوب ، لان الحروف العربية مرحلة من تطور (الابجدية) ، من جهة ، ولانها حروف يكتب بها غير العرب لغاتهم ، من جهة ثانية .

وقد جاء اقتراح الامير آغا خان ، أخيرا في المؤتمر الاسلامي المنعقد في كراشي (شباط 1951) باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية، في البلاد الاسلامية الى جانب لغاتها القومية ، دليلا على صحة ما نذهب اليه .

خطـوات تاليـة لابـد منهـا

أ — لابد من خطوات اخرى نتخذها ، لتيسير اللغة العربية ، ولكن بصورة تدريجية . واننا سنلخص ما نرى امكان الاخذ به ، فى الوقت الحاضر ، بسبيل ادراك تلك الغايـة ، على الوجه التالـي :

ب — يتحتم علينا الابقاء على الحـروف العربية ، باشكالها الراهنة . علـى أن نضيف اليهـا بعض الاصطلاحات التي تمكننا من تصوير الاصوات المعروفة ، فى اللغات الاجنبيـة : مثـل حرف U الفرنسي ، و P وسواهما .

وقد جرى الكتاب على استعمال الباء ، بثـلاث نقط ، لتصوير الصوت الثاني . ونقترح نحن استعمال الواو ، تعلوها نقطة ، لتصوير الصوت الاول .

ج — ولابد لنا من تشكيل الحروف ، اي وضع علامات الاعراب عليها ، بسبيل تسهيل القـراءة وضبط الكتابة واللفظ . لا فـرق فى ذلك بين الكتـب المدرسية الموضوعة للمبتدئين ، وبين كتب المطالعة التي تنشر للمثقفين ، وبين الصحف والمجـلات وسواها ، من المنشورات الدوريـة .

فقد حمل الاولين ، على وضع هذه العلامات ، حرصهم على سلامة اللغة ، من رطانـة الاعاجم . ونحن ، على الرغم من الفارق الزمني ، نجد أن ذلـك الباعث لم يبرح قائما . فما علينا الا أن نقيد الكلمـات بالحركات ، فنحفظها صحيحة من جهة ، ثم نقراهـا بيسر وسهولة من جهة ثانيـة .

د — ولكن كيف نحـرك الحروف ؟

منذ نحو عشرين سنة ، طبقنا القواعد التالية ، فى جميع الكتب التـي الفناهـا ، او اشتركنـا فى تاليفها :

1) نحذف العلامة المعروفة (بالسكون) حيثما وردت هذه العلامة التي يغنينا عنها عـدم وجودها . ونصطلح على أن غياب الحركة معناه وجود (السكون) وهكذا نخفف ربع الحركات ، علـى اقل تعديل ، فى ضبط الكتابة .

2) نستغني عن تحريك الحرف الذي نقـف عنده ، فلا حركة اذن حين الوقف ، عملا بالمصطلـح العام ، لدى علماء التجويد .

وهذه القاعدة تخفف جزءا غير يسيـر مـن الحركات التي لا لزوم لها ، ما دمنا لا نلفظ حركـة الحرف الذي نقف عنـده .

3) نحذف الحركات قبل حروف المد . وهـي ثلاثة : الالف والواو والياء . أما اذا كان الحرفـان الاولان للقطع ، فاننا نقرن الحرف الذي يسبقهمـا بالحركة اللازمة .

ومثال ذلك : (باب ، ونـور ، وطيب) . فالالف والواو والياء ، فى هذه الالفاظ ، حروف مد ، تغنـي عن الفتحة على الباء ، والضمة على النون ، والكسرة على الطـاء . أما فى هاتين الكلمتين : « ثوب وطير » فلابد من وضع الفتحة على كل من التاء والطاء ، لان الواو والياء فيهما همـا حرفا قطـع ، لا حرفا مد .

ومن السهل ادراك الصعوبات التي نتفاداهـا بلجوئنا الى تطبيق هذه القاعدة .

4) لا لزوم للعلامة الخاصـة الدالة علـى همزة الوصل (ا) اذ ان همزة القطع وحدها هـي التي نرسمها على الالف ، حين الكتابة .

5) لا لزوم للفتحة قبل تاء التأنيث ، سـواء كان ذلك فى الاسم او فى الفعل . ومثال ذلك لفظتا : كتابة ، وشربت . ففي الحالتين يحتم وجود هذه التاء فتح الحرف الذي يسبقهـا .

6) لا لزوم للشدة على الحروف الشمسية . ومثال ذلك : الصورة ، الشمس . ان وضع الشـدة على الصاد أو الشين ، كما جرت العادة ، لا مبرر له، لان اللفظتين ليستا من الكلمات المضاعفة ، مثل «مد أو شدد » التي تستلزم هذه العلامة .

7) نظهر الالف المضمرة ، وسواها من الحروف المتروكة ، فى مثل « هذا ، وذلك ورحمن » وسواها من الفاظ شائعة ، فنستغني عن بعض الصعوبات . وعلى هذا نكتب هذه الكلمات كما تلفظ ، دون زيادة ولا نقصان : هاذا ، وذالك ورحمان ، وسواها .

كما نكتب داوود بالواوين ، (ومئة) على هذه الصورة بالذات ، وعمر دون واو . وفيما ومما وعلام ، وسواها دون اتصال او ادغام أو حذف .

وهكذا نكتب سواها من الكلمات الكثيرة ، التي اعتدنا أن نكتبها على غير الصورة التي تلفظ بها ، أو الصورة التي كانت عليها قبلا . وهي بمجموعها تؤلف احدى الصعوبات التي تعترض سبيل دارسي اللغة العربية .

والواقع انه ليس من مبرر للاستمرار على الاخذ بهذه الشواذ ، او الاخطاء المتوارثة ، بعد أن تحللت لغتنا من امثالها في العصور السابقة (لنذكر كتابة القرآن ، وفيها من ذلك ما يعلله العلماء بالقول : ان كتابة القرآن لا يقاس عليها) .

فنحن احوج الى التحرر من تلك الاعباء ، ولاسيما في عصر العلم والمادة والسرعة الذي نعيش فيه .

8) ومن هذا القبيل تجنب الالفاظ المشتركة او التي تقبل الابهام . ومثال ذلك لفظة : « الارز » فهي تحتمل أن تكون للدلالة على الحبوب المعروفة ، والمسماة كذلك « الرز » ، كما يمكن أن تدل على الشجر المعروف ، والذي اتخذه لبنان شعارا له .

لذلك نعمد الى تخصيص لفظة « الرز » بالغلال الزراعية المذكورة ، ونترك اللفظة الاخرى للدلالة على الشجر المشار اليه .

هذه الالفاظ كثيرة في اللغة العربية . واكثر منها المترادفات ، التي لا يمكن أن تكون للدلالة على معنى واحد . بل هي ، في الاصل ، نعوت تدل على حالات معينة . فيحسن بنا أن نصرفها الى وجوهها التي تصلح لها . وحينئذ نتجنب صعوبة اخرى ، صارت من الادلة على فقر اللغة العربية ، بعد ان كانت من مظاهر غناها ، ونعني وفرة الاسماء لبعض المدلولات، كالسيف ، والناقة ، والاسد وسواها ، وانعدام الاسماء لكثير من المسميات القديمة والحديثة ، على حد سواء .

9) كتابة الهمزة ، وهي ، من اعقد مشكلات الكتابة العربية . ويكفي أن نعلم أن اكثر الادباء . والصحفيين يخطئون في تصويرها ، في كثير من المواضع . كما أن الاجتهادات في بعض قواعدها المعقدة ، تختلف بين قطر وقطر ، وبلد وبلد .

ومن رأينا أن نوحد اشكالها : فنجعلها بكرسي الالف ، في بدء الكلمة وفي وسطها ، ودون كرسي في ما عدا ذلك .

10) وعلى ذكر التوحيد ، لابد من الاشارة الى الفوارق التي نشاهدها في رسم بعض الحروف، في هذا البلد او ذاك ، من بلاد العربية . فبينما نرسم، نحن في لبنان ، حرف الياء معجما اي مع النقطتين ، هكذا (ي) ، يرسمه اخواننا المصريون مهملا اي دون تنقيط هكذا (ى) . اي انهم يرسمونه شبيها بالالف المقصورة عندنا . وهكذا يقع القارىء في الالتباس ، كلما شاهد هذه اللفظة مثلا (أري) ، مكتوبة على الطريقة المصرية . فهل هي (أرى) ، للمتكلم بصيغة المضارع أم (أري) للمخاطبة ، بصيغة الامر !

ومثل هذا كثير ، في رسم الحروف ، في مختلف البلاد العربية .

هـ) هذه الطرق التي طبقناها ، فاتت بأفضل النتائج ، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته ، الى فرصة ثانية ، يمكننا فيها أن نسهب في ما أجملنا عليه القول ، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القارىء. كما انها توفر للمطالع جزءا غير يسير من قوة الانتباه، فيصرفه الى تفهم المعنى في النص الذي يطالعه . فضلا عما توفره من جهود عامل المطبعة ، ووقته . وبالتالي تساهم هذه الطرق ، متى طبقت بصورة اجماعية ، في ازدهار الطباعة ، وتيسير التعليم ، وشيوع الثقافة بترويج الكتاب العربي ، الذي يشكو الكساد ، حتى في أوساط المثقفين .

و — واننا نورد فيما يلي الفقرة السابقة ، مضبوطة بالحركات ، وفاتا للطريقة القديمة ، والى جانبها النص نفسه مشكولا بالطريقة التي اتبعناها في كتبنا المطبوعة ، وفي هذه الرسالة ، وشرحناها فيما مر باقتضاب ، وذلك على سبيل المقارنة :

الطريقة القديمة

هٰذِهِ الطُّرُقُ الَّتِي طَبَّقْنَاهَا، فَأَتَتْ بِأَفْضَلِ النَّتَائِجِ، وَسَوَاهَا مِمَّا نَحْتَفِظُ بِتَفْصِيلَاتِهِ، إِلَى فُرْصَةٍ ثَانِيَةٍ، يُمْكِنُنَا فِيهَا أَنْ نُسْهِبَ فِي مَا أَجْمَلْنَا عَلَيْهِ الْقَوْلَ، هِيَ وَسَائِلُ صَالِحَةٌ لِلتَّخْفِيفِ عَنْ بَصَرِ الْقَارِئِ. كَمَا إِنَّهَا تُوَفِّرُ لِلْمُطَالِعِ جُزْءاً غَيْرَ يَسِيرٍ مِنْ قُوَّةِ الْأَنْتِبَاهِ، فَيَصْرِفُهُ إِلَى تَفَهُّمِ الْمَعْنَى فِي النَّصِّ الَّذِي يُطَالِعُهُ. فَضْلاً عَمَّا تُوَفِّرُ مِنْ جُهُودِ عَامِلِ الْمَطْبَعَةِ، وَوَقْتِهِ. وَبِالتَّالِي تُسَاهِمُ هٰذِهِ الْطُّرُقُ، مَتَى طُبِّقَتْ بِصُورَةٍ إِجْمَاعِيَّةٍ، فِي ازْدِهَارِ الْطِّبَاعَةِ، وَتَيْسِيرِ الْتَّعْلِيمِ، وَشُيُوعِ الْثَّقَافَةِ، بِتَرْوِيجِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، الَّذِي يَشْكُو الْكَسَادَ، حَتَّى فِي أَوْسَاطِ الْمُثَقَّفِينَ.

الطريقة الجديدة

هٰذِهِ الطُّرُقُ التي طَبَّقناها، فأتت بأفضل النتائج، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته، إلى فرصة ثانية، يُمكننا فيها أن نُسهب في ما أجملنا عليه القول، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القارئ. كما إنها تُوفّر للمُطالع جُزءاً غير يسير من قوة الانتباه، فيصرفه إلى تفهم المعنى في النص الذي يُطالعه. فضلاً عما تُوفّره من جهود عامل المطبعة، ووقته. وبالتالي تُساهم هذه الطرق، متى طُبقت بصورة إجماعية، في ازدهار الطباعة، وتيسير التعليم، وشيوع الثقافة، بترويج الكتاب العربي، الذي يشكو الكساد، حتى في أوساط المثقفين.

علامـــات الوقف

ا ـــ يضاف الى ما تقدم علامـــات الوقـــف الشائعة فى الكتابة ، لدى الامم الغربية . وقد شعر العرب الاقدمون بالحاجة الى مثلها ، فى تلاوة القرآن الكريم ، فاصطلحوا على علامـــات للوقف ، نجدها فى المصاحف ، كما سبق القول ، وان كانوا قد اصطلحوا ايضا على انه ليس فى القرآن من وقف وجب .

هذه العلامات تيسر القراءة العربية تيسيرا محسوسا ، كما تقرب النصوص المقروءة من الافهام.

وقد اختبرنا ذلك فى كتبنا المنشورة ، المدرسية منها والادبية . فاتى بافضل النتائج . وان كان احـــد النقـــاد قد عد ذلك ، فى رواية « خطيئة الشيـــخ » المنشورة عام 1938 ـــ خطيئة لا تغتفر .

كما نشرنا بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع، وضرورة جعل تلك العلامات جزءا من الكتابة العربية، فى « مجلة التعليم » الصادرة بالفرنسية ، عـــن مديرية المعارف العامة ، فى المفوضية الفرنسيـــة عـــام 1928 .

هذه العلامات ، من الفاصلة الى النقطة ، ومـــن علامة التعجب الى علامة الاستفهام ، ومن المعترضتين الـــى القوسين .. كلها وسائـــل لتيسير القراءة ، وتيسير الفهم . فضلا عما تكسبـــه الكتابة العربيـــة من مظهر فني فى الاخراج ، لا نجده فى الكتب التـــي تخلو من تلك العلامات ، او يقتصر فيها على بعضها الشائع ، حتـــى فى الصحف اليوميـــة .

ب ـــ وفيما يلي انموذجان للمقارنة ، نختارهما من « مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق » .

فقد ورد فى كتاب « تاريـــخ الحكماء » (1) ـــ الصفحة 56 الفقرة التالية :

«« فسأل الامير نوح بن منصور الرئيس ابو علي الاذن له فى دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الايجاب فطالع من جملتها فهرست كتب الاوائل وطلب مـــا احتاج اليه فراى من الكتب ما لم يقرع اسماع الناس اسمه لابي نصر الفارابي وغيره . فقـــرأ تلك الكتب وظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل فى علمـــه من المتقدميـــن » .

وورد فى « ديـــوان ابـــن عنيـــن » (2) ـــ فى الصفحة 6 وما يليها ـــ من قصيدة مدح بها الشاعـــر الملك العادل :

« ملك اذا خفت حلـــوم ذوي النهي
فى الـــروع زاد رزانـــة وتوقـــرا
ثبت الجنـــان تـــراع مـــن وثباته
يـــوم الوغى وثباته اسد الشرى
يقـــظ يكـــاد يقول عمـــا فى غـــد
ببديهـــة اغنتـــه ان يتفكـــرا
حلـــم تخـــف لـــه الجبـــال وراءه
عـــزم وراي يحقـــر الاسكـــندرا
يعفو عـــن الذنب العظيم تكرمـــا
ويصد عن قول الخنـــا متكبـــرا »

ففي تلك الفقر النثرية « نقطتان » فحسب من علامات الوقف ، وفى هذا المقطع الشعري ، لا اثـــر لتلك العلامات على الاطلاق .

ج ـــ واذا نحن نشرنا ، فيما يلي ، تلك الفقرة النثرية مضبوطة بعلامات الوقف ، على الطريقة التي نقترحها ، امكن للمطالع ادراك معانيها ، دون عناء ، ولو اغفلنا ، كما فعل الناشر ، حركات الاعراب .

كما ان هذا المقطع الشعري ، اذا نشرنـــاه مقرونا بعلامات الوقف، صار اوضح معنى ، وساهمنا، الى حد ، فى ابراز الصورة العامة التي اراد الشاعر ان يعطيها لملك عظيم ، صورة تشبه لوحة زيتيـــة متجانسة الالوان ، وان كانت الوانهـــا ، فى الاصل ، شتـــى متنافـــرة .

---

(1) عني بنشره وتحقيقه المرحوم الاستاذ محمد كرد علـــي .
(2) عني بنشره وتحقيقه الاستاذ المرحـــوم خليـــل مردم بـــك .

وفيما يلي الفقرة والمقطع ، مقرونين بعلامات الوقف ، وبالحركات على طريقتنا المقترحة .

١ ــ « فَسَأَلَ الأميرَ نوحُ بنُ مَنصور ، الرئيسُ أبو عليّ ، الأذنَ له في دُخولِ دارٍ له ، فيها بُيوتُ الكُتُب فنالَ الإيجاب . فطالَع ، من جُملتِها ، فِهرِستَ كُتُبِ الأوائل ، وطَلَب ما احتاجَ إليه . فرأى مِنَ الكُتُبِ ما لم يَقرَع أسماعَ الناسِ اسمُه ، لأبي نَصرٍ الفارابي ، وغيرِه . فقرأ تلكَ الكُتُب ، وظفِرَ بفوائدِها . وعَرَفَ مرتبةَ كلِّ رَجُل ، في عِلمِه ، مِن المُتقدِّمين .

٢ ــ « مَلِكٌ ، إذا خَفَّت حُلومُ ذوي النُّهى ،
في الرَّوعِ ، زادَ رَزانةً ، وتوقُّرا !
ثَبتُ الجَنانِ ، تُراعُ مِنْ وثَباتِهِ
يومَ الوَغى ، وثَباتِه ، أُسدُ الشَّرى .
يَقِظٌ ، يكادُ يَقولُ عمّا في غدٍ !
ببَديهةٍ أغنتهُ أن يتفكَّرا .
حُلمٌ تَخِفُّ لهُ الجِبالُ ! وَراءَهُ
عَزمٌ ، ورأيٌ يَحقِرُ الإسكندرا !
يَعفو عَنِ الذَّنبِ العَظيم ، تكرُّمًا !
ويَصُدُّ عَن قَولِ الخَنا ، مُتكبِّرا ! »

وسائل ايجابية وسلبية

أ ــ هذه القواعد التي أوجزنا الكلام عليها ، تهدف الى ضبط الكتابة العربية ، وتيسيرها معا ، كما تهدف الى تسهيل القراءة والفهم . وقد ثبتت لدينا فائدتها ، بعد تطبيقها عمليا ، منذ عشرين سنة ونيف .

وهي كما يبدو وسائل ايجابية ، تساير النزعة التطورية ، دون تهديم ، أو تنكر لماض عظيم ، وتساوق اتجاه الفكر ، لدى الشعوب العربية ، التي تمقت الطفرات ، ولا تستسيغ الثورات ، كما لا ترتضي أن يقوم بينها وبين ماضيها اي حجاب .

وفي تطبيق هذه القواعد ، نسير بلغتنا الى الامام . ونتم ما بدأ به الالون ، في مطلع النهضة العربية ، اذ شكلت الحروف بالحركات ، خشية الرطانة الشائعة اليوم ، حتى بين المثقفين ، ثم اعجمت الحروف المتشابهة ، باضافة التنقيط عليها .

ب ــ ولكن لابد لنا من أن نضيف الى ما ذكرنا ، من وسائل التيسير الايجابية ، وسيلة « سلبية » ــ اذا صح التعبير ــ وهي الوسيلة التي تلجأ اليها الام مع طفلها ، والمعلم مع تلميذه والصحفي اللبق مع قرائه ، والاديب الموهوب مع المطالعين من عامة المثقفين . ونعني الامتناع عن « الاغراب » ، في اللفظ وفي المعنى .

هذا الاغراب نوعان : اغراب في المفردات ، واغراب في التراكيب . والمهم هو الابتعاد عن النوع الثاني . لان اللفظة مهما بعد مدلولها عن مصطلح الناس ، تجد الى افهامهم سبيلا ، ولاسيما اذا كانت تدل على المحسوسات .

نحن نجد الكلام ، باللغات الاجنبية أيسر فهما ، منه باللغة العربية . كما نجد انفسنا اسرع ادراكا لما يقال بتلك اللغات . ويرجع ذلك ، في رأينا ، الى ان الاغراب في التركيب ، في تلك اللغات ، لا وجود له الا نادرا . فالفعل يتبعه الفاعل ، ثم ما يتم المعنى . اما في اللغة العربية ، فاساليب البيان والبلاغة منوعة ، حتى يكاد يطغى المبنى ، على المعنى ، والمظهر على الحقيقة ، في كل ما يقال ويكتب بهذه اللغة .

فيحسن بالكاتب العربي أن يعلم هذه الحقيقة الاولية . وهي أن تلك الاساليب البيانية ليست كلها في متناول عامة القراء . فلتبق للاختصاصيين ، وللتباري بالفصاحة وآيات الاعجاز ، في المجالات الصالحة لتلك المباراة .

ب ــ حينئذ ، ومتى لجأ الكاتب الى الاسلوب الملائم ، انتفى اساس الزعم القائل بصعوبة اللغة العربية ، وخاصة ذلك القول الشائع بأن على قارىء اللغة العربية أن يفهم كي يقرأ ، بينما يقرأ الناس في لغاتهم كي يفهموا !

وبالاسلوب الملائم نعني الاسلوب البسيط ، اي الاسلوب الذي لا تفسده الجوازات والشواذ ، ولا تثقله الاستطرادات والتحشيات .

واكرر القول بأن العدول عن الاخذ بتلك الاساليب ، التي تبقى للاختصاصيين ، لا يعني استقاطها أو ابطال ما لها في النفوس من سحر . بل يعني اننا نتركها لعلماء اللغة ، وجهابذة البيان . اذ ليس مفروضا في كل قارىء أو متعلم مبتدىء ، أن يكون سيبويه زمانه ، أو عضوا في مجمع لغوي .

الخلاصة

ا ـ ان تيسير الكتابة والقراءة ، باللغة العربية ، من الاغراض التي يجب ان نهدف اليها ، لا اقرارا بالقول بصعوبة هذه اللغة ، بل سيرا مع سنن التطور .

ولما كانت الحروف المطبعية الحالية غير كافية ، فان اضافة بعض الحروف الجديدة ، المنبثقة عن الاشكال المعروفة ، ضروري ، لرسم الاصوات التي لا عهد للعرب بها ، مثل حرف U الفرنسي ، و P وسواهما .

ب ـ والحروف العربية نوعان : منفصلة ، ومتصلة . اما المنفصلة ، وعددها احد عشر ، فهي : ا ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ة ، و ، لا ، ي . وفي اعتقادي انه يمكن ابقاؤها على حالها .

واما المتصلة ، وعددها تسعة عشر . وهي :

(ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن) ، فيحسن توحيدشكلها المطبعي،حيثماوردت. ولا فرق بين أن يكون شكلها الموحد هو شكلها في اول الكلمة ، او في آخرها. وحينئذ تصبح جميع الحروف منفصلة . وهذا ممكن .

ج ـ يضاف الى ذلك وجوب استعمال الحركات ، وعلامات الوقف ، على اعتبارها جزءا متمما للحروف وللكلام .

د ـ وفي اعتقادي ان اشكال الحروف العربية الثلاثين ، الآنف ذكرها ، والحركات الاربع المطلوب استعمالها (الفتحة والضمة والكسرة والشدة) ليست اوفر عددا ، ولا اصعب استعمالا ، في الكتابة والطباعة ، من امثالها ، في اللغات الاجنبية .

ولاسيما اذا اعتبرنا ان تلك اللغات تستعمل الحروف اللاتينية ، بشكليها : العادي والكبير (ماجسكول ، كابتال) وتصور تلك الحروف في الكتابة ، على صور تختلف عن صورها المطبعية .

وحينئذ تسلم اللغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة . وفي الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما وصلت الينا في خطوطها المختلفة ،حروف اختزال .

فاذا اصطلحنا على استعمال حروف « الاول » او حروف « الآخر » للطباعة ، تيسيرا لعمل المنضدين الطباعي ، وترويجا للكتاب العربي، وبالتالي خدمة للفكر وللعلم ، في اوساط الشعوب التي تتكلم هذه اللغة ـ فيجب ان نحرص ، في الوقت نفسه ، على الابقاء على حروف الكتابة ، باشكالها الفنية التي تطورت اليها . فصارت الالفاظ الجامدة قطعا من الفن الحي .

وفيما يلي ، نورد الفقرة الاخيرة ، مطبوعة بحروف منفصلة ، على سبيل المثال :

وحينئذ تسلم اللغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة: وفي الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما وصلت الينا في خطوطها المختلفة ، حروف اختزال .

كما نورد الجملة الاخيرة ، من الفقرة السابقة ، مكتوبة بالخط النسخي ، دون زوائد يحشرها الخطاطون عادة للزينة ، فتجيء لتعقيد الخط العربي وتشويهه ، في اعتقادنا :

يَجِبُ أَنْ نَحْرِصَ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى الأَبْقَاءِ عَلَى حُرُوفِ الكِتَابَةِ بِأَشْكَالِهَا الفَنِّيَّةِ، التِي تَطَوَّرَتْ إِلَيْهَا ، فَصَارَتِ الأَلْفَاظُ الجَامِدَةُ قِطَعًا مِنَ الفَنِّ الحَيِّ

واننا نسال الله في الختام ، ان يهدينا الى ما يفيد بلادنا ، وينهض بالشعوب العربية ، الى المكان اللائق بها ، في مجموعة الامم الواعية الحرة !